

فتاة مدبرة

الميدان فسيح.. السيارات متراصة أمام الوزارة بشكل همجي غير منظم، وكثافة من الناس في حلقة دائرية وسط الميدان، وسيارات "الأمن المركزي" من ورائهم وأمامهم وبجوار ضلوعهم يعلوها شلل من العساكر المدججين بالسلاح.. وسيارات عادية تتن بمجموعات عابرة تسلفتها لرؤية من حكمت عليهم الدائرة القضائية بالإعدام رمياً بالرصاص، والصلب لفترات متراوحة.

شدني الهوس للرؤية كغيري من العامة الذين تجمعوا لمشاهدة المنظر المألوف منذ بداية الأحداث.

تسلقت درجات مدخل الوزارة، عسى أن أرى، أو أسمع، حتى مجرد صوت إطلاق الرصاص.. كان السماع يكفي في حد ذاته للتساؤل.. الكل في إصغاء مريع..

آثرت السماع بعد أن أعجزتني الحيلة للرؤية.. مسكت بكتف أحدهم لرفع قامتي قليلاً ولم يشعر بي لأنه كان مندمجاً مع مجموعة في حوار بخصوص فتاة تقف بينهم بقوام ممشوق وصوت رنان يجادل بعنف في بعض الأحيان..

قال الرجل وقد لوى "بوزه":

- لقد قلت لها أنها تستأهل ذلك..

وارتفع صوتها بقوة:

- لماذا؟ لدي تقرير طبي بالإجازة..

- أذار.. أنت فتاة "مدبرة"⁽¹⁾..

تشنجت الفتاة بصوت متودد:

- محاربة في كل مكان.. وكان واجبكم المساندة لا اللوم..؟!

وأقلت منها شبه شخير يدل على أنها "تمخطت" إثر دموع ذرفتها ومسحتها بطرف "شرشفها" الأسود. تأملتها بإمعان صبعته يد الخيال.. فتاة تلبس "الشرشف" الأسود الحريري الجنوني الملمس.. ونقاب مطرز الأركان قد أسدل إلى خلف رأسها، لتبرز قطعة قماش زرقاء اللون تلثمت بها لتبدي عينيها اللامعتين بالأوثنة والسحر.. وقوام ممشوق.. تناسق "الشرشف" مع كل منحنياته المرنة..

¹ مدبرة = سيئة الحظ

انحنيت من الدرجة الأولى لبوابة الوزارة حتى أسمع الحوار.. ورأيت مجموعة من الأشخاص قد اشتركوا مع الفتاة في حوار صاخب.. الجميع يؤنبها، ويلومها.. شدني الفضول فسألت جاري عن الموضوع وعرفت منه أن الفتاة قد فصلت من عملها بالوزارة كمرضة، وذلك لغيابها المستمر..

لويت شفتي بالحسرة وقلت بعد تمهل:

- لاحق لأحد بفصلها..

- عندهم حق يا عزيزي..

التفتت إلي وقد شجعها دفاعي.. وفي يدها ورقة من مكتب السيد الوزير يستوضح فيها من مدير المستشفى "الجمهوري" عن الممرضة "فاطمة علي" ..

أخذت الورقة بدون شعور وقد امتلأت جوانحي بالعطف نحوها، ورمقتني من خلال "الثمة" بعينيها الساحرتين فجمدت خيوط البصر من عيني لحظات نحوها شعرت خلالها بتيار اللذة والجاذبية الجنسية نحوها.

كانت يدها ما زالت ممدودة لأخذ الورقة، كأنها شمعة حمراء في حفل عيد ميلاد أميره، غانية، وقد تحلت بأساور، من الذهب وبخضاب أسود مطرز بزركشة بارعة في الفن.. ولم أمنع نظري من الإحناء إلى قدميها المغطاة "بشرابات" شفافة، وحذاء عالي الكعب، آخر "موضة عصرية" ..

تمالكت مشاعري، ونظرت إلى شرح المدير إلى سيادة الوزير بإهمالها، وتغيبها المستمر وأخيراً بدمغها بمرض خطير لا يمكن السكوت عليه..

أرجعت لها العريضة، وقلت ناصحاً:

- لا داعي لتقديم هذا إلى الوزير..

وقالت برنة حزن وأسى:

- وما العمل..؟؟

واحترت في الإجابة عليها، بينما جذبها أحدهم من يدها، فنظرت إليه بدهشة لجرأته، وقال لها ويده قابضة على يدها:

- اسمعي يا بنت الحلال.. لا بد من أن تكوني أكثر حذقاً.. وتتركي التعنت..

وتشنجت، ولم تجب، فجذبها آخر من كتفها بلمسة جنس خبيثة وقال:

- اسمعي.. لقد قلت لك منذ فترة أن تتركي "الدبور"، وتسمعي كلامنا..

وقاطعه آخر، وقد احتضنها بيده كمن يحدث رجلاً آخرأ:

- سنحاول مع المدير مرة أخرى.. إذا أتت لنصيحتنا..؟

ألمني تصرفهم كما راعني أنها لا تمنع وإنما تتشجع بمخطات متتالية
ودموع بدأت تبلل اللثمة.

أدركت أن الجميع موظفون في الوزارة.. وأغلبهم من سائقي سيارات
المسؤولين فيها.. وسألت أحدهم:

- لماذا كل هذا الإرباك للفتاة..؟

- أي إرباك..؟؟

- هذا الجذب، و الشد، والاندفاع الوقح في مخاطبتها.. لا بد من التحدث
معها بلطف يليق بفتاة تعمل في وزارة محترمة..!!

ونظر إلي بتأمل مدقق وكأن كلامي كان خارجاً عن المنطق وقال:

- لا بد من هذا حتى تعود إلى الصواب وتترك "الدبور"!!

- أنها بانسة..

- بل مريضة يا سيدي..!

- ما مرضها..؟؟

- مريضة، وهذا يكفي..!

- وما سبب فصلها..؟

- غيابها المستمر عن العمل..

- إذا فهي معذورة..

- وما عذرها..؟

- مرضها الذي حدثني عنه..

وضحك وقد أشاح بوجهه عني..

وعلا حوارهم الصاخب معها، والكل يجذبها من أماكن مختلفة.

استأت من ضحكته، فجذبته نحوي كمن يريد الدخول معه في شجار عنيف
لكني تماكنت أعصابي وسألته:

- أليس لها زوج..؟

- ليست متزوجة..

- عائلة..؟

- يتيمة..

ونظر إلي بغیظ، وقد تألم لتصرفي وقال متحرشاً:

- ما دخلك في هذا الموضوع..؟

- بحكم أنني إنسان..

- إذا كان لديك إنسانية فاتركها..!

لم أجبه، ونظرت إليها وقد تكدست معاني الإنسانية في وجداني لتحتل كل
هواجس الجنس والرغبة.. وجدت نفسي قد تورطت في حبها من تقاطيع
الثمة الزرقاء، والشرشف الأسود، والحذاء الجديد والشرابات الشفافة..
تخيلتها ممشوقة القوام، ممتلئة الصدر، ناصعة البياض.. يدان كالشمع
الأحمر المطرز بالخضاب الأسود المزركش والأساور الذهبية الباهتة بلونها
الأصفر..

اندفعت نحوها، وأخذت منها الورقة فسلمتها بثقة، والتقت يدانا لأجذبها
معي نحو الدرجات العليا لسلم الوزارة بين نظرات زملائها الشرسة..
وقدتها وقد شعرت بدفء يدها الرطبة، فدوت طلقات نارية متكررة وسريعة
فتجاوب صداها مدخل الوزارة العفن، فارتمت بين أحضاني بخوف ووجل
وشعرت بدنيا لم أحلم بتحقيقها من قبل..

صنعاء: 1974/2/5م